Coptology
ϨⲀⲚⲰϢ ⲚⲢⲈⲘⲚⲬⲎⲘⲒ

هجوم الأنبا بيشوي
على أساسات المسيحية الأرثوذكسية
(١)

دكتور
جورج حبيب بباوي
٢٠١٦

www.coptology.org

هجوم الأنبا بيشوي

على أساسات المسيحية الأرثوذكسية –١

على موقعه الرسمي نشر نيافة الأنبا بيشوي مقالاً بعنوان "ما بين الحلول الأقنومي والاتحاد الأقنومي"، ليس أسوأ ما فيه لغته العربية الركيكة جداً، ولكنه يدور حول:

الجوهر – النعمة (الإرادة) – الأقنوم.

والغاية التي يضمرها من وراء هذا المقال والتي يستشفها القارئ هي إنكار وجود ذلك الأساس الأبدي: "تألُّه الإنسان في المسيح". وليس الأمر بجديد على نيافته، فقد استطاع من قبل أن يستصدر حكماً من مجمع الصامتين من الأساقفة باعتبار أن "الشركة في الطبيعة الإلهية، وتألُّه الإنسان" تعني تحول الإنسان وصيرورته إلهاً، وبناءً على ذلك سار في ركابه عدد من الأساقفة والآباء القسوس.

على أنه لم يكتفِ بذلك، فها هو قد عاد للكتابة ضد موضوع "تألُّه الإنسان" رداً على ما ورد في كتاب الأب كونيارس "الأرثوذكسية قانون إيمان لكل العصور"، رغم أن ترجمة الكتاب مر عليها زمن ليس بقليل، وتناول أيضاً ما نُشر بعد ذلك للأرشمندريت جيورجيوس من جبل آثوس بعنوان "التأله هدف الإنسان"، ترجمة الأب ابراهيم خليل دبور.

ويبدو أن الأنبا بيشوي يعيش لحظة رعب اكتشاف الخطأ الجسيم الذي ارتكبه في عام ١٩٨٢ بدفع المجمع لإصدار قرار بحرم كل من يُعلِّم بالشركة في الطبيعة الإلهية، بعد ظهور أن هذا التعليم هو تعليم الآباء جميعاً، وأنه ليس هرطقةً بيزنطيةً كما زعم. ولذلك ورغبةً منا في أن يثوب إلى رشده، ننبهه إلى أن قرار الحرم هذا، إنما هو

معلقٌ على رأسه هو لا على رأس كاتب هذه السطور الذي نشر دراسةً في القاهرة رداً على قرار مجمع الصامتين تحت عنوان "الشركة في الطبيعة الإلهية" يعرض ما سلَّمه الآباء أثناسيوس وكيرلس وغيرهما من أعمدة الكنيسة الجامعة، في هذا الخصوص.

وكان الأنبا بيشوي قد كتب بحثاً لم يُنشر في القاهرة في الحوار مع الكنيسة الانجليكانية ٣-٧ اكتوبر ٢٠١٣ بعنوان انبثاق الروح القدس، هاجم فيه أيضاً أساسات العقيدة الأرثوذكسية، وانطلاقاً من أمانتنا تجاه التسليم الكنسي قمنا بالرد عليه في كتاب بعنوان "أقنومية الروح القدس بين الإنكار وفساد الاستدلال" (القاهرة ٢٠١٤). ولكن يبدو أن المطران لا يريد الهدوء ولا حتى الحوار، هو يجد في اعتراف الكنائس الأرثوذكسية (الخلقيدونية) ما يزعجه ويعكر عليه صفو حياته التي لا تعرف إلاَّ البحث عن أعداء يطاردهم. ويهمنا أن نلفت النظر إلى أن هناك عدة مشاكل خلف كل ما يكتبه المطران:

المشكلة الأولى: هي أنه لم يدرس في أي معهد لاهوتي أرثوذكسي أو غير أرثوذكسي.

المشكلة الثانية: هي أنه لم يدرس التاريخ الكنسي، ولا كتابات آباء الكنيسة، لا سيما أثناسيوس الرسولي وكيرلس عمود الدين.

المشكلة الثالثة: هي أنه لم يستلم الإيمان المودع في حياة وصلوات الكنيسة الأرثوذكسية.

المشكلة الرابعة: هو لم يدرس الكتاب المقدس، وبالذات أسفار العهد الجديد.

المشكلة الخامسة: إنه يعيش على تراث سماعي سمعه من الراحل الأنبا شنودة الثالث، وهو تراثٌ غير موثَّق بالمرة.

وبالرغم من ذلك سطَّر الزمان في كتابه أن يتولى مسئوليات أكبر منه بكثير؛ لأنه كان شديد الولاء للبطريرك الراحل الأنبا شنودة.

والخلاصة التي انتهينا إليها نتيجة خبرة الـ ٤٠ سنة الماضية، هي أن الاختلاف عند الأنبا شنودة الثالث ومعه الأنبا بيشوي هو حرب وعداء، وليس حوار من أجل الوصول إلى ما هو مشترك وواضح، ولا هو حتى بحثٌ عن خلاف.

الأنبا شنودة درس في مهمشة وأخذ ما استطاع أن يأخذه عن د. وهيب عطا الله والقمص متى المسكين، ثم انفصل عنهما، وحارب كليهما بلا هوادة بعد أن صار بطريركاً، وتحول الاختلاف عنده إلى عداء علني نُشِرَ في مقالات في مجلة الكرازة، ثم تحولت المقالات إلى كتاب بدع حديثة. وقد احتوى هذا الكتاب على فصل بعنوان "بدعة تأليه الإنسان". وتعبير "تأليه" هو ادعاء على الذين يكتبون عن هذا الموضوع أنهم يؤلهون الإنسان، ورغم الردود التي نُشرت، إلا أنه لم يتراجع أو يعترف بالخطأ، ذلك أن التراجع والاعتراف بالحق، هو من شيمة الرجال فقط، وليس ما يسعى إليه طالبو الزعامة والسيطرة على عقول الناس وضمائرهم، وهو ما يخلق فيهم التعنت ورفض الحق ونشر الكراهية والعداء وجمع الأتباع واشاعة الفرقة والتقسيم ...

هذه بعض ملامح الصراعات التي عشناها طوال ٤٠ عاماً.

ملاحظات على مقال الأنبا بيشوي الأخير:

لم يستخدم الأنبا بيشوي كلمة بدعة، فقد تراجع عنها، رغم خطأ مجمع سنة ١٩٨٢ الذي حكم بهرطقة الشركة في طبيعة الله. ولكنه عاد إلى الأسلوب الصحفي الذي اشتهر به أستاذه السابق الأنبا شنودة، فقال إنها "الكارثة الكبرى"، وأنها تقترب من "التجديف". وذلك بعد أن جمح خياله مثل حصان بلا لجام، حيث تصور أن سكنى أُقنوم الروح القدس تجعلنا الله (ص ٥ من المقال). وهنا نذكر لأستاذنا د. وليم الخولي أستاذ وطبيب الأمراض العقلية والنفسية رأياً نقدمه كما هو دون أي تعليق:

"الله شخص له حرية، لا يمكن أن ينزع أحد أُلوهيته بدون رضاه، والذين يقولـــون إن سكنى الله فينا تحولنا إلى الله، هم مرضى لديهم مشاعر جنسية عدوانية، هي مشـــاعر هتك العرض والاغتصاب. الله لا يمكن أن يُغتصب".

الاقتباسات التي وردت من الرد على الأريوسيين:

أي قراءة ولو سطحية للرد على الأريوسيين، تؤكد لأي قـــارئ أن المعلـــم السكندري لم يكن يكتب مفنداً أو شارحاً عن الجوهر – النعمة – الإرادة، بل كـــان يشرح الفرق بين الرب يسوع الكلمة الذي من جوهر الآب، والكائنات الأخرى التي جاءت من العدم بالإرادة الإلهية.

وكل الذين درسوا التاريخ الكنسي، يعرفون أن التمييز بين الجوهر والنعمة، لم يكن مطروحاً في زمان الصراع مع الأريوسيين، وأنه لم يتم تحديده بشكل دقيق قبـــل القديس غريغوريوس بالاماس (١٢٩٣-١٣٥٩). ونقطة التحول هي تعبير "النعمة غير المخلوقة"، وتألُّه الإنسان هو ذات ما تصل إليه هذه النعمة غير المخلوقة (لأن ما هـــو إلهي هو غير مخلوق)، لكن المطران يحارب ما هو إلهي؛ لأن حـــتى الطاقـــة -حســـب تعبيره- إذا كانت إلهية، فإن الإنسان في النهاية أو حسب القصد، ينال نعمة الشـــركة في الحياة الإلهية.

إذن، فقد فشل المطران في إدراك لُب الموضوع بسبب عدم دراسة اللاهوت. إن تعبير الجوهر والأقنوم، هو تعبير دفاعي لشرح الثالوث، استُخدِم ضد الهرطقـــات، ولم يكن تحديداً للكينونة الإلهية. وفي الحقيقة لا يوجد فرق حقيقي بين جوهر وأقنوم، لا حسب استعمال آباء القرن الرابع ولا ما بعد ذلك، **وإنما الجوهر الواحد هو الحياة الواحدة للثالوث والأقانيم هم الكيان الخاص الذي نميِّزه في الجوهر الواحد** حسب رسالة القديس باسيليوس للتمييز بين العام والخاص، وبين ما هو شركة بين الثلاثة، وما

هو خاص بكل أقنوم[١].

نحن لا نشترك في جوهر الله حقاً، ولكن **بمعنى** واحد دقيق لم يفهمه المطران **وهو أننا لن ندرك سر الكينونة لأن الشركة هي معرفة مجد الله بوجه مكشوف**، من مجد إلى مجد كما من الرب الروح حسب تعبير القديس بولس في (٢كو ٣: ١٨).

ولأننا سوف **نتغير إلى ذات صورة الابن، وهو التألُّه** الذي يرعب المطران، فسوف ندرك ما جاء به تجسد الكلمة وحلول الروح القدس فينا، سوف يمجدنا بما استُعلن لنا، ولكن سيبقى الكيان الإلهي (لا أريد أن استخدم كلمة الوجود الإلهي لأن كلمة "الوجود" غير دقيقة إذا أضفناها إلى الله، وهي خاصة بما هو مخلوق، لأن ما هو مخلوق هو موجود) فوق الإدراك. فما هو إلهي له كيانه الغير مستمد من آخر، ولا هو مخلوق بواسطة آخر.

النعمة والإرادة الإلهية ليست مخلوقة:

ورغم أن المطران ينقل عن المقالات ضد الأريوسيين للقديس أثناسيوس، وزجَّ به في عراكه الوهمي، فدون أن يدري سقط في تعليم أريوس؛ لأنه زعم أن الإرادة الإلهية هي النعمة، وأن النعمة مخلوقة، في حين أن النعمة استُعلنت لنا في خالق كل الدهور ربنا يسوع المسيح، وهي سابقة على كل زمان ومكان حسب عبارة لا يمكن الالتفاف حولها وهي: "مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة. إذ سبق فعيننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة إرادته لمدح مجد نعمته التي انعم بها علينا في المحبوب". ولم يتوقف الرسول عند ذلك، بل أكد أسبقية التدبير الإلهي على كل الدهور ونوالها في الزمان، فكتب عن الرب لا عن

---

[١] الرسالة رقم ٣٨ إلى أخيه غريغوريوس.

الزمان: "الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته .. إذ عرفنا بسر ارادته حسب مسرته التي قصدها في ذاته، لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شيء في المسيح ما في السموات وما على الأرض في ذاك الذي فيه أيضاً نلنا نصيباً معينين سابقاً (قبل خلق العالم) .." (أفسس ١: ٣-١١). وهكذا يكون المطران قد طعن نفسه، إذ اقتبس كلمات الرسول بولس ليؤكد أن الإرادة هي النعمة، وأنها مخلوقة، في حين أن كلمات الرسول جاءت لتؤكد عكس ما حاول أن ينفيه: "فلا تخجل بشهادة ربنا .. المشقات لأجل الإنجيل بحسب قوة الله، الذي خلصنا ودعانا دعوة مقدسة .. بمقتضى القصد والنعمة التي أُعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية وإنما أُظهرت الآن بظهور مخلصنا يسوع المسيح الذي أبطل الموت وأنار الحياة والخلود" (١تيمو ١: ٨-١٠). فقد ظهرت أو استُعلنت حسب إرادة وقصد الله السابق على خلق العالم.

فالابن من ذات جوهر الآب وليس مثل الكائنات التي جاءت من العدم (ضد الأريوسيين ١: ٩) وعند مقارنة الله بالمخلوقات يقول المعلم:

"عندما أراد (بولس) أن يلزم الأمم بالصمت قال: إن ما نراه في خلق العالم هو منظور لنا، ومن ذلك نفهم أن ما خُلِقَ، بقوته الأزلية وأُلوهيته (راجع رو ١: ٢٠)، وما هي قوة الله؟ هو يعلِّمنا في موضع آخر: "المسيح هو قوة الله وحكمة الله" (١كو ١: ٢٤). وهذه الكلمات (كلمات الرسول) لا تعلن الآب كما تدَّعون (الأريوسيون) همساً كلٌّ للآخر مؤكدين أن الآب هو قوته (قوة الابن) الأزلية. هذا لم يقصده الرسول لأنه لم يقل إن الله نفسه هو قوته (الابن)، بل كان يقصد أن (الابن) هو قوة الله، فهو ليس غريباً عنه" (ضد أريوس ١: ١١). فالابن هو قوة الآب الذي جاء لكي يعلن الآب، ولا يمكن أن يعلن الآب مَن هو غريبٌ عن الآب، فلا يوجد مخلوق يستطيع أن يعلن الله الآب" (ضد أريوس ١: ١٢).

القوة يا سيادة العلاَّمة، أو الطاقة، هي قوة الله، وجاء الابن لكي يعلن لنا الآب لكي يجدد ويفدي الخليقة:

"الابن نفسه تشترك فيه حسب نعمة الروح التي تعطى به" (المرجع السابق ١: ١٦). وعطية النعمة التي يخاف منها المطران هي عطية التبني التي صارت لنا "تبني وتأُّله بواسطة اللوغوس" (المرجع السابق ١: ٣٩). ولكن كما يسأل المعلم السكندري: "ماذا وهب أو أعطى واهب أو عاطي النعمة؟" (١: ٣٩). كانت طبيعة الانسان فقيرة وضيعة وحقيرة وميتة (١: ٤١)؛ لذلك جاء الابن وأخذ صورة العبد ومات وقام لكي يجدد كيان الإنسان فيه هو، ولكي يكون السابق الذي يدخل السماء قبلنا نحن لكي ندخل نحن بعده:

"ولأن المسيح مات ورُفِع كإنسان، كُتِب أنه كإنسان أخذ ما يخصه كإله دائماً لكي تصل إلينا نحن النعمة" (١: ٤٢). فقد مات على الصليب، وهو "مجد الألوهة" (١: ٤٢)؛ لأن "مجد الله الآب هو أن الإنسان الذي خلقه وضل الطريق يعود من جديد وإن من مات يحيا ويصبح هيكل الله" (١: ٤٢).

جاء تجسد الابن بأساس النعمة التي تُوهب لنا بالابن نفسه ومن كيانه، وهذه هي صدمة المعلم الكنسي لمن قبع في ثقافة غير مسيحية منذ طفولته، و لم يدرك ما هو مجد الإنجيل، إذ يقول أثناسيوس: "وبسبب صلتنا بجسده (الابن) صرنا نحن أيضاً هيكل الله وتبعاً لذلك فإننا نحن فينا يُعبد الرب، ومَن يرى يجاهر -كما يقول الرسول- أن الله بالحقيقة فينا (١كو ١٤: ٢٥) وأيضاً يوحنا يقول في الانجيل: "أما كل الذين قبلوه أعطاهم القوة لأن يكونوا أبناء الله" (١: ١٢) .. لأن واهب النعمة هو الرب الذي تجسد لأجلنا (١: ٤٣).

تحول الإنسانية في المسيح من الموت إلى الحياة:

بدأ التحول بالميلاد البتولي، ميلاد مَن هو الحياة (١: ٤٤)، وهو ما جعل

الرب يخلي ذاته ويتواضع ويأخذ جسداً قابلاً للموت (١: ٤٤ راجع تجسد الكلمة ١٣: ٩ – ٢١: ٥)، ولكنه صار الإنسان الثاني لكي -عندما يتجسد- إذا مات بالجسد، يحي البشر بقوته" (١: ٤٤). ولكن المطران جعل القوة التي تعطي الحياة والقيامة، بل والحياة الأبدية قوة مخلوقة. ولكن الرب ضمن لنا البقاء الأبدي عندما أباد الموت (١: ٤٥) فصارت نعمة التجديد هي ذاتها نعمة الحياة، وهي ذاتها نعمة القيامة "والنعمة التي يعطيها الابن هي من الآب ولذلك قيل إن الابن أخذها .. لأنه ابن الإنسان ويعطي من الآب، لأن كل ما يعمله الآب يعطيه هو (الابن) .. لأن جسده هو جسده هو الذي قَبِلَ النعمة، وهو قَبِلَ لكي يمجد طبيعة الإنسان فيه لأنها تألهت" (١: ٤٥). فقد منحنا الرب يسوع الروح القدس بعد أن مُسح هو "لكي يمنح الإنسان ليس فقط الرفعة والقيامة بل سكنى الروح القدس والعلاقة الحميمة (أو الشخصية جداً)" (١: ٤٦)؛ لأن الرب "لأجلنا قدَّس ذاته، وحدث هذا عندما تجسد، ومن الواضح أن الروح نزل عليه في الأردن كان نزولاً علينا لأنه حمل (لبس) جسدنا" (١: ٤٧) و لم يكن هذا حادثاً عرضياً، بل نحن الذين اغتسلنا فيه" عندما اغتسل الرب في الأردن كإنسان لأننا نحن **اغتسلنا فيه وبه**" (١: ٤٧).

وعندما قَبِلَ الرب مسحة الروح القدس بدأ يعطي الروح القدس لنا "نحن الذين قبلنا هذه المسحة والختم" (١: ٤٧). الختم هو الاسم الطقسي لمسحة الميرون، وهكذا تُمسح الإنسانية فيه" لكي يصل إلينا التقديس" (١: ٤٧).

فالتحول من موت إلى عدم الموت هو سبب تجسد الكلمة الذي "رُفع" لأجلنا والذي مُسح بالروح القدس والذي نالت فيه الإنسانية "البدء" الجديد (١: ٤٨) فلم يُمسح الابن بطاقة، بل بالروح القدس؛ لأن المسحة، بحسب كلمات المعلم السكندري واضحة: "لقد نزل إلينا ومسحة الروح تمت فيه لأجلنا .. أنت مُسحت (يسوع) لأنه لا يوجد آخر يستطيع أن يوحِّدنا بالروح القدس إلا أنت يا من أنت صورة الآب" (١: ٤٨).

لقد جلبت الخطيةُ الموتَ، وهو الموت الذي جلبناه نحن على أنفسنا، ولكن رغم ذلك، فإن النعمة التي أعطاها الخالق لم تسمح بعودة الإنسان بالذات إلى العدم (١: ٥٨).

الابن هو إرادة الآب:

المخلوقات أتت من العدم إلى الوجود بإرادة الخالق. هذه الإرادة، هي القوة الإلهية الخالقة التي لا يمكن تكون بدورها مخلوقة، بل هي قوة الله الخالقة وهكذا الابن خالق:

"لأن كلمة الله هو الصانع والخالق وهو إرادة الآب Βουλη الآب" (٢: ٣١). فالابن هو: "مولود من جوهر الله ... وكل المخلوقات تبقى بإرادة ومسرة (الله) لأن كل الخليقة خلقت بالإرادة وبولس دُعي رسولاً بإرادة الله (١تيمو ١: ١) ودعوتنا قد صارت بالمسرة الإرادة (أفسس ١: ٥)، وكل المخلوقات قد أتت إلى الوجود بالكلمة، فهو إذن ليس من ضمن المخلوقات التي وُجدت بالإرادة، بل بالحري هو نفسه مشورة الآب الحية" (٣: ٦٣-٦٤).

وبعد ذلك يؤكد أثناسيوس جنون هرطقة أريوس "الجنون الذي لا حدود له" (٣: ٦٤) لأنهم يستخدمون كلمة الإرادة الخاصة ببقاء الخليقة للابن؛ لأنهم يحسبون الابن من ضمن المخلوقات، ولكن الابن هو "رب الكل لأنه واحد مع الآب في الربوبية والخليقة كلها خاضعة له لأنها ليست واحداً مع الآب لأنها لم تكن موجودة وجاءت إلى الوجود" (٣: ٦٤). هكذا سقط المطران في الأريوسية عن جهل.

ولأن المطران لديه غرام قديم بحروف الجر وأداة التعريف الـ نجد في فقرة ٣٧ من المقالة الثانية ذات اتجاه المطران حيث يذكر أثناسيوس أن أريوس ذكر في شعره الثاليا: "لم يقل بولس المبارك إنه كرز بالمسيح قوة الله وحكمة الله، بل "قوة لله وحكمة لله" بدون أداة التعريف، وكرز بأن قوة الله الذاتية هي آخر (غير الكلمة)،

وهي قوته الكائنة فيه بالطبيعة بغير ولادة، وأنها هي التي ولدت المسيح وخلقت العالم" (٣: ٣٧)، وهكذا يتم العبث، ذات العبث الصبياني الجنوني بالكلمات من أجل هدم الإيمان.

وإرادة الآب تعني أن "النعمة التي يعطيها الآب يعطيها الابن" (٣: ٤١). ويقدم أثناسيوس الاختبار الليتورجي؛ لأن الآب خلق كل الأشياء بالكلمة "المولود منه وبختم المعمودية المقدسة بالابن، وحيث الآب يكون الابن .. وهكذا عندما تعطي المعمودية فإن من يعمده الآب يعمده الابن أيضاً، ومن يعمده الابن، فهذا يكمل بالروح القدس" .. لذلك عندما وعد القديسين قال "إليه نأتي أنا والآب وعنده نصنع منزلاً" (يوحنا ١٤: ٢٣) وأيضاً "لكي يكونوا هم أيضاً واحداً فينا .. كما أنني أنا وأنت واحد" (يوحنا ١٧: ٢١، ٢٢) والنعمة المعطاة هي واحدة وهي معطاة من الآب بالابن .." (٣: ٤١-٤٢).

هنا بالذات يظهر وجه الأريوسية القديم في شكله القبيح على وجه المطران نفسه، إذ يقول أثناسيوس العظيم عن الأريوسيين القدامى: "إنهم إذ يربطون (يوحدون) أنفسهم بالمخلوق، فلن ينالوا من المخلوق أي معونة. وإذ يؤمنون بمن هو مختلف عن الآب وغريب عن جوهره، **فإنهم لن يتحدوا مع الآب** طالما ليس لهم الابن الذاتي المولود (من الآب) منه بالطبيعة، الذي هو في الآب، والآب كائن فيه كما قال هو نفسه" (٢: ٤٣). وقبل هذا السطر قال المعلم السكندري: "إن الأريوسيين لن يحصلوا على شيء ما دام إيمانهم في معموديتهم هو على اسم مَن هو غير كائن" (٢: ٤٣)، والسبب هو أنهم لم ينالوا التبني لأن هؤلاء "التعساء خُدعوا .. فقد ظلوا هكذا مقفرين وعراة من الألوهة، لأن خيالات الأمور الأرضية (التي تخيلوها) لن تتبعهم عندما يموتون (لأنهم تخيلوا أن الابن مخلوق)، وعندما يرون الرب الذي أنكروه وهو جالس على عرش الله لكي يدين الأحياء والأموات، فلن يستطيع أي من هؤلاء (الذين أنكروه) أن يلتمس مساعدة .." (٢: ٤٣).

جسد الرب المخلوق والمتألِّه:

ظل جسداً، حتى بعد القيامة هو جسد؛ لأن القيامة فعلٌ خاص بالجسد، ولكنه كما يقول أثناسيوس في الرد على عبارة سفر الأمثال (٨: ٢) الرب خلقني: "إذا سمعنا في سفر الأمثال كلمة "خلق"، فلا يجب أن نفهم أن الكلمة مخلوقٌ بحسب الطبيعة (الإلهية)، بل إنه لبس الجسد المخلوق وأن الله خلقه لأجلنا "وهيأ له جسداً مخلوقاً من أجلنا كما هو مكتوب (عب ١٠: ٥) لكي نتجدد ونؤلَّه (٢: ٤٧). وتألُّه ناسوت الرب، بل ناسوت كل مسيحي هو ما يزعج المطران الذي شرب ثقافة غير مسيحية.

وهو ما يؤكده أثناسيوس بعد ذلك بأن التأله هو التبني "الذين قبلوا الكلمة ونالوا منه سلطان أن يصيروا أبناء الله، لأنه لم يكن في إمكانهم -حيث أنهم مخلوقات بالطبيعة أن يصيروا أبناء بأي وسيلة أخرى، سوى أن يقبلوا روح الابن الحق بالطبيعة- لذا، فلكي يتم هذا "صار الكلمة جسداً"، لكي يجعل الإنسان قادراً على تقبُّل الأُلوهة .. لسنا أبناء الله بالطبيعة، أما الذي جاء وسطنا فهو ابن بالطبيعة، وأيضاً فإن الله ليس أبانا بالطبيعة، بل هو آب الكلمة الموجود فينا والذي به (الابن) نصرخ "أبا أيها الآب" (٢: ٥٩).

تألُّه ناسوت الرب هو مصير كل مسيحي يريد ميراث الملكوت، أما الذي لا يقبل ذلك ويريد أن يبقى "الإنسان الترابي" (١كو ١٥: ٤٨، ٤٩) دون تجديد، فهو كافرٌ بنعمة الخلق الجديد.

هكذا يشرح المعلم الإيمان الأرثوذكسي:

"لو كان الكلمة مخلوقاً، فالشيطان إذ هو مخلوق، فإنه يواصل الحرب دائماً ضد المخلوق، ولأن الإنسان كائن في هذا الصراع، فهو خاضعٌ للموت، إذ ليس له من بواسطته وعن طريقه يتحد بالله لكي يتحرر من كل خوف. الكلمة لا ينتمي إلى

المخلوقات، بل بالحري هو نفسه خالقهم، ولذلك فقد لبس الجسد البشري المخلوق، لكي بعد أن يجدده كخالق بأن يؤلهه في ذاته، وهكذا يدخلنا جميعاً إلى ملكوت السموات على مثال صورته، لأنه إن اتحد إنسانٌ بمخلوق، فهو لن يتألَّه، أو لو أن الابن ليس إلهاً حقيقياً، وما كان الإنسان يقف في حضرة الآب لو لم يكن الذي لبس الجسد هو بالطبيعة كلمته الحقيقي" (٢: ٧٠).

ولاحظ -أيها القارئ الفطن- إن هذه الفقرة بالذات تجعل:

١- التحرر من الخوف
٢- التجديد
٣- التأله
٤- الحضور في حضرة الآب، هي كلها من ثمار اتحادنا بالابن الإله الحق.

ويؤكد القديس أثناسيوس ذلك في السطور التالية:

"لو لم يكن الجسد الذي لبسه الكلمة جسداً بشرياً، ما كنا قد تحررنا من الخطية واللعنة .. هكذا لم يكن الإنسان يؤلَّه لو لم يكن الكلمة الذي صار جسداً هو ابن طبيعي حقيقي وذاتي للآب، لهذا صار الاتحاد هكذا: أن يتحد ما هو بشري بالطبيعة بهذا الذي له طبيعة إلهية، ويصير خلاص الإنسان **وتألُّهه مؤكداً**" (٢: ٧٠). لأن أُلوهية الرب هي التي تهب لنا "التبني والحرية" (٢: ٧٢).

تألُّه ناسوت الرب هو الذي جعلنا مشابهين له:

يقول أثناسيوس العظيم:

"وحيد الجنس عندما صار إنساناً، صار له مماثلون (من البشر) وهم الذين لبس جسدهم المماثل لجسده. وتبعاً لذلك، فإنه قد تأسس (أمثال ٨: ٢٢) بحسب بشريته، لكي يمكننا نحن أيضاً أن نُبنَي فوقه كحجارة كريمة ونصير هيكلاً للروح

القدس الساكن فينا، وكما أنه هو أساسٌ حقاً، فنكون نحن الحجارة التي تُبنى عليه، وأيضاً يكون هو الكرمة ونصير نحن أغصانه، ليس بحسب جوهر اللاهوت -لأن هذا مستحيل حقاً- بل بحسب بشريته، لأن الأغصان، يلزم أن تكون مشابهة للكرمة حيث أننا نحن مشابهون له بحسب الجسد" (٢: ٧٤).

هذه المشابهة هي أن نظل غير مائتين وغير قابلين للفساد (٢: ٧٤)، وهو ما يؤكده رسول الرب أيضاً في (أفسس ١: ١-٥): إن اختيارنا قد تم في المسيح "قبل خلق (تأسيس) العالم"، وذلك حسب القصد والنعمة التي أُعطيت لنا في ربنا يسوع المسيح قبل الأزمنة الأزلية التي أُظهرت الآن بظهور مخلصنا يسوع المسيح الذي أبطل الموت وأنار الحياة (٢تيمو ٨: ١٠). فالنعمة التي وصفها المطران بأنها إرادة، وأن الإرادة مخلوقة هي سقطة كبيرة جداً.

وكأن أثناسيوس قد رأى ما سوف يُقال في أيامنا فكتب:

"كيف اختارنا قبل أن نُخلق؟

كيف سبق فعيننا للتبني قبل أن يخلق البشر؟

كيف أضاف الرسول قائلاً: "نلنا نصيباً معينين سابقاً؟

كيف حصلنا على النعمة قبل الأزمنة الأزلية، بينما لم نكن قد خُلقنا بعد؛ لأننا خُلقنا في الزمان؟

والإجابة هي أن: "النعمة التي وصلت إلينا كانت مودعة في المسيح" (٢: ٧٦). وأيضاً كل هذا: التبني والنعمة والنصيب قد تم تأسيسه (في الرب الذي هو كائن منذ الأزل والذي به قد خلقت العالمين لكي نستطيع أن نرث نحن أيضاً الحياة الأبدية لأنها كانت فيه" (٢: ٧٧).

ميراثنا يتبدد إذا كانت النعمة مخلوقة والإرادة مخلوقة؛ لأن مصدرها هو مخلوق. وهكذا شرح أثناسيوس التدبير: الخلق والخلاص هما معاً عمل واحد رتَّبه الله:

"المهندس الحكيم يريد أن يبني منزلاً

يخطط في نفس الوقت كيف يمكن تجديده مرة أخرى لو أصابه دمار

هو يعد ذلك عندما يضع الخطة .. ويكون استعداد مسبق للتجديد قبل بناء المنزل" (٢: ٧٧).

ويطبق أثناسيوس المثال على تدبير الله في الابن: "تجديد خلاصنا قد تأسس في المسيح قبل (خلقنا) لكي يمكن إعادة خلقنا من جديد فيه، فالإرادة والتخطيط قد أُعِدا منذ الأزل، أمَّا العمل فقد تحقق عندما استدعت الحاجة وجاء المخلص إلى العالم، لأن الرب نفسه سيكون في السماء لأجلنا أجمعين، وسيجمعنا معه إلى الحياة الأبدية" (٢: ٧٧). لا تعليق، فالشرح يكفي.

(يتبع).